(إنّ) و(أنّ) بين الفتح والكسر في جزء تبارك (دراسة دلالية)

م. د. إسراء زيدان خلف
كلية القلم الجامعة

THE TRANSCRIBED LETTERS (ʾAN) AND (ʾIN) BETWEEN THE FATH AND THE BREAKING IN JUZ' TABARAK (A SEMANTIC STUDY)

Dr. Israa Zedan Khalaf
Al-Qalam University College

المقدمة

الحمد لله الواحد المعبود، العظيم المستعان المقصود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المحمود وعلى آله وأصحابه و من اقتفى أثرهم الى يوم الدين.

وبعد....

فإن القران الكريم الذي أحدث ثروة لغوية لصالح العربية وأهلها، السبب المباشر لميلاد الدراسات اللغوية الدينية؛ لارتباطها الوثيقة به؛ فعكف العلماء على دراسة النص القرآني واستنباط الأحكام التي تخص حياتهم؛ كونه دستور الأمة الإسلامية، فظهرت الدراسات التي تبحث في دلالة المفردة وهي مستقلة، ودلالتها عندما ترد في نص أو جملة حيث إنها ترتبط مع غيرها بعلاقات نحوية؛ فينتج عن هذه العلاقات دلالة جديدة تتولد من استعمال الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي (حيدر، علم الدلالة،

ص٤٣)؛ إذ يتحصل من العلاقات التي تربط بين الكلمات معاني جديدة مستفادة من تجاور الكلمات وارتباط بعضها ببعض. يقول ابن جني: ((الكلام إنما وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول)) (ابن جني، ٣٣١/٢) من هنا تظهر أهمية البحث في الكشف عن أحوال (إنّ) بحالتيها الكسر والفتح في جزء تبارك، وبيان أثرها في السياق القرآني الذي ترد فيه.

أما مشكلة البحث فتظهر من خلال السؤال الآتي: لماذا جاءت (إنّ) مكسورة الهمزة في هذا الموضوع من القرآن، ولماذا جاءت مفتوحة في مواضع آخر؟

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي؛ بوصفه أحد مناهج البحث المتبعة في الكشف عن المعاني المتضمنة في سياق النص القرآني.

أما خطة البحث فقد كانت على محورين؛ الأول: التوجيه النحوي لـ(أنّ) وأخواتها؛ ودلالات (إنّ) واستعمالاتها في جزء تبارك وهي: الدلالة على التوكيد والتعليل والربط. أما المحور الثاني فقد تضمن المواضع التي وردت فيها (أنّ) في جزء تبارك ودلالتها على التوكيد, ثم تناولت أحوال (إنّ) بين الفتح والكسر في سورة الجن والتوجيه الإعرابي لها في القراءات القرآنية، ثم بينت في خاتمة البحث أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

المبحث الأوّل

دلالات (إن) في جزء تبارك

١-١- التوجيه النحوي لـ(إنّ) و(أنّ):

تعد (إن)و(أن) من ((الأحرف المشبهة بالفعل، وهي من نواسخ الابتداء في النحو، والذي أوجب لها العمل عند محققي النحويين هو شبهها بالأفعال في الاختصاص؛ ذلك أنّ هذه الحروف تختص بالأسماء ولا تدخل على غيرها كما أن الأفعال تختص بالأسماء ولا تدخل على غيرها))(الزجاجي، ٢٠١٣م، ص٤١٥).

ويعلل النحويون شبهها بالأفعال في خمسة أوجه؛ هي: ((الحروف داخلة على المبتدأ والخبر، فما كان المبتدأ كان اسماً لها إلا اسم الشرط، واسم الاستفهام وكم الخبرية ويمينُ الله في القسم، وسبب هذا أنّ هذه الأسماء لها صدر الكلام وجعلها أسماء لهذه الحروف يخرجها عما استقر لها من الصدرية وما كان خبراً للمبتدأ كان خبرا لها، إلا اسم الاستفهام وكم الخبرية وكل جملة غير محتملة للصدق والكذب، فلا يجوز أن نقول إنّ زيداً أضربه))(المبرد،١٩٩٩،ص٦٥٤،٦٤٢)، فإن جاء ما ظاهره وقوع الجملة غير محتملة للصدق والكذب خبراً تؤول، نحو قوله: (ابن عقيل، ص٣٤٧).

إنّ الذين قتلتم أمس سيدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما

وإنما لم تقع الجمل غير المحتملة للصدق والكذب أخباراً لهذه الحروف لمناقضة معناها لمعاني هذه الحروف، وذلك أنّ الجملة غير المحتملة للصدق والكذب مقتضاها الطلب، فإذا قلت: أضرب، فأنت تطلب من المخاطب الضرب، ولم تقع أيضاً خبر (إنّ وأنّ ولكنّ)؛ لأنّ هذه الحروف تكون للتأكيد، ولا يؤكد إلا ما يحتمل أن يكون وأن لا يكون في المخاطب (ينظر: ابن عصفور،١٩٧١م، ص١٠٦)، حيث جاء في وظيفتها أنها: ((لتوكيد النسبة بين الجزأين، ونفي الشك عنها، ونفي الإنكار لها بحسب العلم والتردد والإنكار لها، فإن كان المخاطب عالما بالنسبة؛ فهما لمجرد توكيد النسبة، وإن كان متردداً فيها، فهما لنفي الشك عنها، وإن كان منكراً، فهما لنفي الإنكار لها؛ فالتوكيد لنفي الشك عنها مستحسن ولنفي الإنكار واجب، ولغيرهما لا ولا)) (سيبويه، ج١٠، ص١٢١)، وهنا نلاحظ زيادة عدد المؤكدات حسب حال المخاطب وهذه الزيادة التي في أصل الخطاب لا تكون إلا لفائدة استعمالية في اللغة تؤدى من خلال معرفة أنّ كل تغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى، حسبما يقتضيه السياق؛ فاستعمال (إنّ) في الكلام يستند إلى

نمط العلاقة التي تربط بين المتكلم والمخاطب؛ إذ يعتمد اختيار النمط التوكيدي المناسب للخطاب على مدى تصديق السامع للخبر أو تكذيبه أو تشكيكه أو إنكاره.

ويذكر النحاة أنّ لـ(إنّ) ثلاثة أحوال، هي: وجوب الكسر، ووجوب الفتح وجواز الأمرين؛ والضابط في ذلك أنّه تتعين المكسورة، حيث لا يجوز أن يسدّ المصدر مسدها ومسد معموليها، وتتعين المفتوحة حيث يجب ذلك، ويجوز الأمران إن صح الاعتباران(ينظر: الأزهري، ص٣١٤).

١-٢- دلالات (إنّ) واستعمالاتها:

تتضح دلالة التركيب من خلال مراعاة الوظائف النحوية للكلمات المكونة للنص؛ يقول نعوم تشومسكي: ((إنّ معرفة التركيب شرط أساسي لمعرفة المعنى، وإنّ معرفة المادة الدلالية سبيل إلى معرفة الصلات النحوية)) (ليونز، ص١١٨)؛ لذا فإنّ دلالة (إنّ) داخل النص القرآني، تستمد من خلال البحث في الجوانب السياقية للآية التي ترتبط بالحدث الكلامي وما تضمنه من حال المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالحدث الكلامي، ونلاحظ أنّ دلالاتها في جزء تبارك تتحدد حسب سياق الآية التي ترد فيها، وتأتي(إنّ) لمعان عدة أشهرها: التوكيد والتعليل والربط (السامرائي، ٢٠٠٣م، ص٣٦٢)، وفيما يأتي عرض لكل معنى من معانيها التي وردت في جزء تبارك:

٢-٢-١- دلالة (إنّ) على التوكيد: هو الأصل فيها ويدور معها حيث وردت وقد جاءت في جزء تبارك لتؤدي الدلالات الآتية:

أ- توكيد مضمون الجملة: يرى ابن يعيش أن التوكيد بهذا الحرف يشبه التوكيد اللفظي، فهو بمثابة تكرير الجملة مرتين، يقول: ((فإما فائدتهما يعني (إنّ) و (أنّ) فالتوكيد لمضمون الجملة؛ فإنّ قول القائل (إنّ زيداً قائم) ناب مناب تكرير الجملة مرتين إلا أنّ قولك (إنّ زيداً قائم) أوجز من قولك (زيد قائم زيد

قائم)، مع حصول الغرض من التأكيد، فإن أدخلت اللام وقلت (إنّ زيدا لقائم) ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات)) (ابن يعيش، ج٨، ص٥٩. وينظر: السيوطي١٣٥٩هـ، ج١، ص٢٩) وقال ابن الناظم: ((إنّ لتوكيد الحكم ونفي الشك عنه أو الانكار له)) (ابن مالك، ص٦٥) ونلاحظ ذلك في قوله تعالى: [إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً] {المزمل: ١٥}، وقد نص ابن عاشور على دلالة التوكيد لـ(إنّ) في هذه الآية قائلاً: ((وتأكيد الخبر بحرف التأكيد؛ لأنّ المواجهين به ابتداء هم منكرون أنّ الله أرسل إليهم رسولاً)) (ابن عاشور،١٩٧٣، ج٢٩، ص٢٥٤) وفي هذا إشارة إلى الوظيفة النحوية التي تؤديها هذه الأداة، ودورها في توجيه المعنى المقصود من الآية اعتماداً على الجوانب السياقية التي تحيط بالنص القرآني؛ لأنّ المخاطبين هنا كانوا منكرين ابتداء فاحتاج المقام إلى التأكيد، لتثبيت الخبر وتأكيده في نفوسهم.

ب- وقوعها في سياق الجواب: يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ الأصل في (إنّ) أن تكون للجواب قائلا: ((فالذي يدل على أنّ لها أصلاً في الجواب أنا رأيناهم قد ألزموها الجملة من المبتدأ والخبر إذا كانت جواباً للقسم، نحو (والله إنّ زيداً منطلق) وامتنعوا من أن يقولوا (والله زيد منطلق)، ثم إنا إذا استقرينا الكلام، وجدنا الأمر بيّناً في الكثير من مواقعها، أنه يقصد بها إلى الجواب)) (الجرجاني، ١٣٦٦هـ، ص٢٥٤) ؛ فهي في أحد استعمالاتها أداة جواب، ومن ذلك ما جاء في سورة نوح قوله تعالى: [قال ربِّ إنِّي دعوتُ قَوْمي ليلاً وَنَهاراً] {نوح:١}وقد ورد في تفسيرها: ((جرد فعل (قال) من العاطفة؛ لأنه حكاية طريقة جواب نوح عن قول الله له [أَنْذِرْ قَوْمَكَ] {نوح:١} عومل معاملة الجواب الذي يُتلقى به الأمر على الفور على طريقة المحاورات، وتصدير كلام نوح بالتأكيد؛ لإرادة الاهتمام بالخبر)) (ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٢٩،

ص١٧٩، وينظر: الآلوسي، ١٢٧٠هـ، ج٢٩، ص١١٣)؛ فاحتاج السياق هنا إلى التأكيد؛ لأنّه من متطلبات الظروف المحيطة بالمتكلم والمخاطب، فلما أمر الله سبحانه نبيه نوح قائلاً له [أَنْذِرْ قَوْمَكَ] {نوح:١}جاء جواب سيدنا نوح أنّه دعاهم ليلاً ونهاراً، وحصول يأسه، فجعل مراجعته ربه بعد مهلة مستفادة من قوله (ليلا ونهارا، بمنزلة المراجعة في المقام الواحد بين المتحاورين، وذلك أن تجعل جملة (قال رب) مستأنفة استئنافا بيانياً؛ لأن السامع يترقب معرفة ماذا أجاب قوم نوح دعوته، فكان في هذه الجملة بيان ما يترقبه السامع مع زيادة مراجعة نوح ربه تعالى(ينظر: ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٢٩، ص١٧٩).

ج- في سياق التحسّر: وردت (إن) لتدل على هذا المعنى في قوله تعالى: [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا] {نوح:٢١} وقد ورد في تفسيرها ((إظهار اسم (نوح) مع القول الثاني دون إضمار لبعد معاد الضمير لو تحمله الفعل، وهذا الخبر مستعمل في لازم معناه وجاء تأكيد الخبر بـ(إنّ) للاهتمام بما استعمل فيه من التحسّر والاستنصار لمخالفتهم امره وردهم عليه دعوتهم له إلى الهدى والرشاد)) (ينظر: الطبري،١٣١٠هـ،ج١٢،ص٢٥٣، والالوسي، ١٢٧٠هـ، ج٢٩، ص١٢١) حيث جاء الخبر مؤكداً بـ(إنّ)، وهنا تبرز الوظيفة النحوية لـ(إنّ) في تأكيد تحسّره وألمه لعدم استجابتهم لدعوتهم، وصدّهم وأعراضهم عن طريق الإيمان والهداية، حيث أظهر سيدنا نوح أسفه لحالهم، فقد خرج الخبر عن مجرد الإخبار إلى معنى جديد ينسجم مع الجو العام للآية وهو سباق التحسر والأسف.

د- وقوعها في جواب القسم: جاء في الهمع: (فإنّ للتأكيد ولذا أجيب بها القسم كما يجاب باللام كما في قولك (والله لزيد قائم) وزعم ثعلب أن الفراء قال: (إنّ)

مقررة لقسم متروك استُغني عنه بها التقدير: (والله إنّ زيداً لقائم) (السيوطي، ١٣٢٧هـ، ج١، ١٣٢) كقوله تعالى: [وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ] {القلم: ٣} جاء في معناها: لما ثبّت الله رسولَه (صلى الله عليه وسلم) فدفع بهتان أعدائه في قوله: [مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون] {القلم: ٢}، أعقبه بإكرامه بأمر عظيم على ما لقيه من المشركين من أذى مؤكداً ذلك بحرف (إنّ) و(لام) الابتداء وبتقديم المجرور وهو في قوله ذلك (الطبري، ج١٢، ص١٩٠، وينظر: النحاس، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٥) ومنه قوله تعالى: [أَنّما تُوعَدون لَواقِعٌ] {المرسلات:٧} ورد في تفسيرها أنها جواب للقسم و(ما) موصولة، وإن كتبتَ موصولة والعائد محذوف على تقدير إنّ الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة(ينظر: لطبري، ج١٢، ص١٩٥)؛ حيث جاء الاستعمال القرآني لـ(إنّ) في هذا الموضوع ليؤكد ما ألقى من خبر إلى المتلقي، حيث إنهم منكرين لما أخبرهم به؛ لذلك لجأ إلى كل ما من شأنه إزالة الشك من أذهانهم؛ لأن حالة المخاطب كونه منكرا للخبر، يدعو إلى استعمال أسلوب التوكيد لإصابة موقع التأثير والإقناع من عقولهم وفي هذا الموضع نلاحظ أن التأكيد جاء بأكثر من أداة، إذ أكد بـ(إنّ) واللام؛ لأنهم كانوا مبالغين في إنكار يوم القيامة؛ لذلك وقعت (إن) في جواب القسم,؛ لتأكيد وقوعها.

هـ – وقوعها في سياق الاستئناف الابتدائي: وقد تكون في بداية كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، ومنه قول تعالى: [كَلا إنّا خَلَقْناهم ممَّا يَعْلَمون] {المعارج: ٣٩} قال المفسرون (النحاس، ج٢٩، ص٢٤، وينظر: الزمخشري، ١٩٤٨، ص١٢٩٧): هو كلام مستأنف استئنافا ابتدائياً للانتقال من إثبات الجزاء إلى الاحتجاج على إمكان البعث لشبهتهم الباعثة على إنكاره وهو الإنكار الذي ذُكر إجمالاً بقوله المتقدم أنفاً [إنّهم يَرونَه بعيداً، ونراه قريباً]

{المعارج:٦}؛ فالخبر بقوله [كلَّا إنّا خَلَقناهم ممّا يعلمون] {المعارج: ٣٩} مستعمل لازم معناه وهو إثبات إعادة خلقهم بعد فنائهم، ومجيء (أنا) مؤكداً بحرف التأكيد، لأنّ الأساليب إنّما تستخدم على النحو الذي يتفق مع ما تطلبه مناسبات القول، وحال المخاطب فيها، فلا توكيد دون أن تشعر أن حال المخاطب بحاجة إلى التوكيد (المخزومي، ص٢٢٨) وهذا هو السر الدلالي في استعمال (إنّ) في هذا الموضع.

ومنه قوله تعالى: [إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا] {المزمل: ١٩} وقد ورد في معناها: ((تنذر أي تذكرة لمن يتذكر، فإن كان من منكري البعث آمن به، وإن كان مؤمناً استفاق من بعض الغفلة التي تعرض للمؤمن فاستدرك ما فاته وبهذا العموم والشمول لأحوال المتحدث عنهم وأحوال غيرهم كانت الجملة تذييلاً، والإشارة بـ(هذه) على الآيات المتقدمة من قوله: [إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا] {المزمل:١٥} وتأكيد الكلام بحرف التأكيد؛ لأنّ المواجهين به ابتداءً هم منكرون كون القرآن تذكرة وهدى فإنّهم كذبوا بأنّه من عند الله ووسموه بالسحر والأساطير)) (ابن عاشور، ١٩٧٣، ج٢٩، ص٢٥٤)، فجاءت التذكرة هنا تلفت ذهن المخاطب إلى حقيقة قد يراها مخالفة للصواب؛ لأنهم يرون أن القرآن ليس من عند الله، وهنا أسهم الأسلوب التوكيدي في تقرير الحقيقة في نفوسهم والتأثير فيهم حتى ينتهوا إلى الحكم يخالف تصوراتهم، وهو أن القرآن من عند الله، وأنه ليس بسحر ولا أباطيل.

و- وقوعها في سياق الاستئناف البياني: أما ما كان منها في بداية جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً فهو كما في قوله تعالى: [إِنَّ للمُتقينَ عِنْدَ رَبِّهم جناتِ النَعيم] {القلم, ٣٤}، فهو استئناف بياني من شأنه أن ينشأ عنه سؤال في نفس السامعين بقول: فما جزاء المتقين؟ وهو كلام معترض بين أجزاء الوعيد والتهديد وبين قوله: [سَنَسِمُهُ على الخَرطوم] {القلم: ١٦}، وقوله (كَذلِكَ

العَذاب) قد أشعر بتوقع هذا قوله بعده [أَفَنَجْعَلُ المُسلمينَ كالمُجرِمين] {القلم: ٣٥}، وتقديم المسند على المسند إليه؛ للاهتمام بشأن المتقين لتسبق ذكر صفتهم العظيمة ذكر جزائها (الطبري، ج١٢، ص١٩٥. وينظر: ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٥، ص١٠)؛ فالانتقال من غرض لغرض آخر، واستئناف كلام جديد بعد كلام سبقه لا يمثل انقطاعاً دلالياً في النص، إنما تكون له أغراض مهمة في النص وتماسك دلالته وتناسبها؛ فالناظر الى السياق القرآني الذي وردتْ فيه هذه الآية يجد أن الكلام في الآية التي سبقتها كان عن المجرمين، لقوله تعالى: [كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر] {القلم: ٣٣}؛ لذلك جاء الحديث عن المتقين وجزاؤهم يوم البعث في مقابلة جزاء الكافرين؛ وهذا أبلغ في اشعار السامع بالفرق بين حال المتقين وحال الكافرين.

١-٢-٢- دلالة (إنّ) على التعليل:

ذكر عبد القاهر الجرجاني أن(إن) قد تأتي للتعليل ((في موضع دون موضع، وفي حال دون حال))(٣٤)، وقد وردت (إنّ) في دلالتها على التعليل في جزء تبارك في عدة مواضع، منها قوله تعالى: [وأَسُّروا قَولَكم أو اجهروا به] (تبارك، ١٣) أي: أخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه إنّه عليم بذات الصدور، يقول: إنّه ذو علم بضمائر الصدر؛ فهو تعليل للتسوية المستفادة من صيغة الأمر بقرينة المقام وسبب النزول، (إنّه) عائد إلى الله تعالى المعلوم من المقام، ولا معاد في الكلام يعود إليه الضمير(الطبري، ج١٢، ص١٦٨،وينظر: ابن عاشور، ١٩٧٣. ج٢٩، ص٢٨)، فنلاحظ أنّ مجيء (إنّ) هنا أفاد التعليل، وقد يسأل سائل، هل هناك فرق بين التعليل بـ(إنّ) والتعليل بـ(أنّ)؟

يقول الدكتور فاضل السامرائي: ((إنّ للتعليل بـ(إنّ) لا يماثل التعليل ب(أن) المفتوحة، وإنّما هو إرادة اللام)) (الكتاب،ج١٠، ص٤٦٤) قال سيبويه في (جئتك

أنّك تريد المعرفة)، أي: لأنّك تريد المعرفة، فالتعليل هنا مقيد بعامله مقصور عليه، أي: إنّما حصل هذا، بخلاف التعليل ب(أنّ) المكسورة، فإنه تعليل واسع، وحكم عام مستأنف غير مقيد بالعامل، فهي في الحقيقة ليست للتعليل المحض كـ(أنّ)، وإنّما هي حكم عام، وكلام مستأنف فيه تعليل، يشمل ما ذكر وما لم يذكر)) (السامرائي، ٢٠٠٣م، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨).

ومن ذلك قوله تعالى: [إنّا سَنُلْقي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً] {المزمل:٥} فهو تعليل للأمر بقيام الليل وقع اعتراضاً بين جملة [قمِ الليلَ إلا قليلاً] {المزمل: ٢} وجملة [إنَ ناشئة الليل هي أشدُّ وَطْئاً]، وهي جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لحكمة الأمر بقيام الليل(الفراء،١٩٥٥م، ج٣، ٩٣،وينظر: النحاس، ج٥، ص٣٩). وما ورد في دلالة (إنّ) على التعليل في قوله تعالى: [فَأَمّا مَنْ أُوتيَ كِتابَهُ بِيَمينهِ فَيَقُولُ هَأُؤُمُ اقرَءُوا كِتابِيه. إنّي ظَنَنتُ أنّي مُلاق حِسابيه] {الحاقة: ١٩-٥٠}، فجملة [إنّي ظَنَنتُ أنّي مُلاق حِسابيه]{الحاقة:٢٠}جاءت في موقع التعليل للفرح والبهجة التي دلّ عليها قوله تعالى [فَأَمّا مَنْ أُوتيَ كِتابَهُ بِيَمينهِ فَيَقُولُ هَأُؤُمُ اقرَءُوا كِتابيه] {الحاقة: ١٩}، وبذلك يكون حرف (إنّ) لمجرد الاهتمام وإفادة التسبب(ينظر: الزمخشري، ١٩٤٨م، ص١٢٩١).

وكذلك نحو قوله تعالى: [وَأُمْلي لَهُمْ إنّ كَيْدي مَتين] {القلم:٤٥} والمعنى، أي: أمهلهم ليزدادوا إثماً وهم يزعمون أنّ ذلك لإرادة الخير بهم، وقوله [إنّ كيدي متين] هو ضرب من الاحتيال، وموقع (إنّ) موقع التسبب والتعليل، وإطلاق الكيد على إحسان الله لقوم مع إرادة السوء بهم إطلاق على وجه الاستعارة لمشابهته فعل الكائد من حيث تعجيل الإحسان وتعقيبه بالإساءة (النحاس، ج٥، ص١١)؛ وتوضيح التعليل لموقع (إن) في الآيات السابقة أن الفاء لو وضعت مكان (إن) لحسن(٣٨).

١-٢-٣-دلالة (إنّ) على الربط:

قد تأتي (إنّ) لربط الكلام بعضه ببعض، فلا يحسن سقوطها منه وإن اسقطتها

رأيت الكلام مختلاً غير ملتئم، وهذا ما نلاحظه في قول الشاعر: (ابن برد، ١٩٧٦م، ج٣، ص١٨٤) بكرا صاحبيَّ قبل الهجير إنّ ذاك النجاح في التكبير.

فقد جاء في معنى (إن) في البيت أعلاه((واعلم أنّ من شأن (إنّ) إذا جاءت على هذا الوجه، أنْ تُغني غناء إلغاء العاطفة مثلاً، وأنّ تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجيباً، فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً، أفلا ترى أنّك لو اسقطت (إنّ) من قوله (إنّ ذاك النجاح في التبكبر)، لم تر الكلام يلتئم، ولرأيت الجملة لاتتصل بالأولى ولاتكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء، فنقول: بكرا صاحبيّ قبل الهجير فذاك النجاح في التبكبر)) (الجرجاني، ١٣٦٦هـ، ص٢١١-٢١٢)، وقد تكررت (إنّ) في دلالتها على الربط في موضعين هما:

١- في قوله تعالى: [يَغْفِرْ لَكُم من ذُنوبِكم ويُؤخِركم إلى أجَلٍ مسمى إنّ أجَل الله إذا جاء لايُؤخَرُ لو كُنْتُم تَعْلَمون. قال رَبِّ إنّي دعوتُ قَومي لَيلاً وَنَهاراً] {نوح: ٤-٥}؛ والمعنى يحتمل أن تكونَ جملة (إنَّ أَجَلَ الله) تعليلاً لقوله (ويُؤخِركم إلى أجَلٍ مسمى) أي: تعليلاً للربط الذي بين الأمر وجزائه من قوله: (أن اعبدوا الله) إلى قوله: (يُؤَخِّرْكُم) الخ، لأنّ الربط بينَ الأمر وجوابه يعطي معنى يفهمونه أن لا تعبدوا الله ولا تتقوه ولا تطيعوني لا يغفر لكم ولا يؤخركم إلى أجل مسمى، فعُلل هذا الربط والتلازم بين هذا الشرط المقدر وبين جزائه بجملة (نّ أجَلَ الله إذا جاء لا يؤخر) ويحتمل أن تكونَ الجملة تعليلاً لكلا الأجلين: الأجل المفاد من قوله تعالى: [إنّا أرْسَلْنا نوحاً إلى قَومه أنْ أنْذِرْ قَومَك من قبلِ أنْ يَأتيهم عَذابٌ أَليم] {نوح: ١}فإنَّ لفظ (قَبْلَ) يؤذن بأن العذاب مؤقت بوقت غير بعيد فله أجل بهم غير بعيد، والأجل المذكور بقوله: [ويُؤَخِّرْكم إلى أَجَل مُسَمى] فيكون أجل الله صادقاً على الأجل المسمى وهو أجل كل نفس من القوم)) (النحاس، ج٥، ص٢٦).

٢-قوله تعالى: [إِنَّ المتقين في ظِلال وعُيُون] {المرسلات: ٤١} ورد في معناها: أنّه يجوز أن يكون هذا ختام الكلام الذي هو تقريع للمشركين حكي لهم فيه نعيم المؤمنين الذي لا يشاهدوه لبعدهم عن مكانه فيحكى لهم يومئذ فيما يقال ؛ ليكون ذلك أشد حسرة عليهم وتنديماً لهم، ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام مستأنف انتقل به إلى ذكر نعيم المؤمنين المتقين تنويهاً بشأنهم وتعريضاً بترغيب المشركين الموجودين في الإقلاع عنه لينالوا كرامة المتقين، وموقع الجملة على كلا الاعتبارين موقع التعليل لما قبلها، ومن أجل الإشعار بهذا التعليل افتتحت بـ(إنّ) مع خلو المقام عن التردد عن الخبر؛ إذ الموقف يومئذ موقف الصدق والحقيقة، فلذلك كانت (إنّ) متمحضة لإفادة الاهتمام بالخبر وحينئذ تصير مغنية غناء فاء التسبب، وتفيد فائدة التعليل والربط (الآلوسي، ١٢٧٠هـ، ج٢٩، ص٢٧٩).

المبحث الثاني

دلالات (أنّ) المفتوحة

تأتي (أنّ) لتعطي معان وغايات في الكلام مرتبطة ببعضها لا يكاد ينفك أحدها عن الآخر؛ فإنّهم وظيفة لها أنها توقع الجملة موقع المفرد، فتهيئها لتكون فاعلة ومفعوله مبتدأ ومجرور ونحو ذلك. وذلك أن تقول: يعجبني أنك فزت وأخشى أنك لاتعود وأرغب في أن تعود)) (السامرائي، ٢٠٠٣، ج١، ص٢٦٨) وقد وردت (أنّ) في جزء تبارك في مواضع معدودة كان أغلبها في تأويل مصدر يكون مفعولاً به.

قال سيبويه: ((أما أنّ فهي اسم، وما عملت فيه صلة لها، كما أن الفعل صلة لـ(أن) الخفيفة، وتكون (أنّ) اسماً، ألا ترى أنك تقول: (قد عرفت أنّك منطلق) (أنك) في موضع اسم منصوب، كأنك قلت قد عرفت ذاك، وتقول: (بلغني أنك

منطلق) (فإنك) في موضع اسم مرفوع فإنك قلت: بلغني ذاك. فـ(أن) الأسماء التي تعمل منها صلة لها، كما أن (أنّ) الأفعال التي تعمل فيها صلة لها)) (ج١، ص٤٦١. ينظر: المبرد، ص٦٠٤). وهي في ذلك تلتقي مع سائر الأحرف المصدرية فإنّ من أهم وظائف الحرف المصدري أن يوقع الجملة موضع المفرد, ثم إن الحرف المصدري يجعل ما بعده في حكم المصدر؛ وأقول في حكم المصدر ولا أقول (مصدراً)، لأنه قد يصعب التأويل في بعض المواطن إلا بتكلف، والمصدر معنى ذهني غير متشخص، فـ(إنّ) على هذا تجعل الأمر معنوياً ذهنياً، فثمة فرق بين قولك: أرى محمداً واقفاً وأرى أنّ محمداً واقف، فالأول موقف عقلي ورأى عقلية، أي أرى أنّه فاعل ذلك وأحسبه (السامرائي، ٢٠٠٣م، ج١، ص٢٧٠)، وأما أنّ المفتوحة فهي مع جملتها في حكم المفرد ألا ترى أنّك إذا قلت (زيدا قائم) ثم أدخلت المكسورة كانت على حالها في استقلالها بفائدتها، ولو أدخلت المفتوحة صارت الجملة معها بتأويل مصدر من خبرها أو في حكمه، فافتقرت إلى جزء آخر تكون به كلاماً، نحو (أعجبني أنّ زيداً منطلق)، فتكون فاعلة و(كرهتُ أنّ زيداً منطلق) فتكون مفعولاً، وثم وجب الكسر في موضع الجمل والفتح في موضع المفرد، يعني ومن أجل أنّ المكسورة تبقى معها الجملة على فائدتها، والمفتوحة قبلها إلى حكم المفرد، وجب الكسر في موضع الجمل والفتح في موضع المفرد، من حيث كان ذلك معناها(ابن الحاجب، ص١٣٣).

٢-١-المواضع التي وردت فيها (أَنَّ):

٢-١-١- ما كان في موضع المفعول به: وردت (أنّ) في مواضع المفعول به في عدة مواضع منها: قوله تعالى: [إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاق حِسابيه] {الحاقة: ٢٠} وجاء من هنا في موضع مفعول به للفعل (ظَن) الذي جاء بمعنى اليقين، ورد عن ابن طلحة عن ابن عباس [إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاق حِسابيه] {الحاقة: ٢٠} قال أيقنت (النحاس، ج٥، ص١٦).

وكذلك قوله تعالى: [وَإِنّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُكَذبين] {الحاقة: ٤٩) والمعنى: إنا بعثنا إليكم الرسول بهذا القرآن ونحن نعلم أنّه سيكون منكم مكذبون له وبه وعلمنا بذلك لم يصرفنا عن توجيه التذكير إليكم وإعادته عليكم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينه، وجاء هنا الاهتمام بتنبيه المكذبين إلى حالهم وكانت بمنزلة التتميم لجملة [وَأَإِنَه لَتَذْكَرَةٌ للمتقين] {الحاقة: ٤٨} (ابن عاشور، ج٩، ص١٣٣٨).

وأيضا قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {المزمل: ٢٠}، هنا جاءت(أن) مع الفعل (تقوم) مصدراً تأويله القيام وهو في موضع مفعول به، وقال ابن عاشور: (جملة عَلِمَ أَنْ لّنْ تُحْصُوهُ) يجوز أن تكون خبراً ثانيا: عن (أنَّ) بعد الخبر في قوله (يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) ويجوز أن تكون استئنافاً بيانياً، لما ينشأ عن جملة (إنَّ رَبَّك يعلم أنّك تقوم) من ترقب السماع لمعرفة ما مهد له بتلك الجملة فبعد أن شكرهم على عملهم خفَّف عنهم منه، والضمير المنصوب في (تُحْصوه) عائد إلى القيام المستفاد من (أنَّك تَقومُ) (ج٢٩، ص٢٦٣-٢٦٤) .

٢-١-٢- ما كان في موضع النائب عن الفاعل:

جاءت (أنَّ) في موضع نائب فاعل في سورة الجن فقط في موضع واحد، وهو قوله تعالى: [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا] {الجن: ١} قال ابن عاشور: ((وقوله أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ في موضع نائب

فاعل من (أُوحِيَ) أي: إليّ استماع نفر، وتأكيد الخبر الموحى بحرف (أنّ) للاهتمام به ولغرابته)) (الالوسي، ١٢٧٠هـ، ج٢٩، ص٢٢٧) إذ يجب مراعاة مقتضيات القول، واستخدام التعبير الذي يحقق الغرض المطلوب من الخطاب، ولما كان الخبر يحوي الغرابة، فجاء السياق مؤكداً بالحرف بـ(أنَّ) لشد انتباه السامع وإثارة اهتمامه.

وعلى جميع القراءات يكون الجار متعلق بما بعده ونائب الفاعل على أنّه في تأويل المصدر والضمير للشأن (التميمي، ج١، ص٦٥٦، وينظر: ابن زنجلة، ص٢٧١) فالتعجب يعني انفعال نفسي من أمر أو حدث يثير الدهشة فتعظمه نفسه؛ إذ إن معنى التعجب (تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأنّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله)) (الزمخشري، الكشاف، ص٤)، وهنا أكد الخبر المتعجب منه بـ(أنَّ) للاهتمام به، حيث إنّ استماع الجن للرسول(صلى الله عليه وسلم) هو يقرأ القرآن، وتعجبهم من بلاغته المعجزة، من الأمور الغريبة التي تثير في نفس السامع الدهشة والغرابة.

٢-١-٣- دلالة (أنَّ) على التوكيد:

اختلف النحويون في كون (أَنَّ) مؤكدةً أولاً، فذهب أكثرهم إلى أنّها مؤكدة مثل: (إنَّ) وأنّها فرع عليها (الأنصاري، ج١، ص٣٩، ابن عصفور، ١٩٧١م، ج١، ص١٠٦) وهنا شبهة أثارها بعض المحدثين في دلالتها على التوكيد قالوا: لو كانت تدل على التوكيد لوقعت في جواب القسم مثل (إنَّ) وهذه الشبهة مردودة من ناحيتين:

الأولى: إنّ مجيئها للتوكيد لا يعني أنَّ تشبه (أنّ) من جميع الاوجه، فنحن نعلم أنّ اللام للتوكيد، وهناك خلاف بينهما في الاستعمال بل إنّ (أنّ) المخففة من المثقلة قد تختلف معها في بعض الأحكام فيجوز في (أنَّ) المخففة أنْ يكون نون التوكيد الخفيفة لا تقع في بعض مواطن الثقيلة ولها أحكام خاصة بها.

والثانية: إنّ (أنّ) كما ذكرنا تحول الجملة إلى مفرد في المعنى هو المصدر، والقسم يجاب بجملة لا بمفرد، وذلك لا يجاب بها القسم، ومع ذلك أجاز بعض النحاة أن يجاب بها القسم(السامرائي، ٢٠٠٣م، ج١، ص٢٧٢).

واستصوب الدكتور فاضل السامرائي دلالتها على التوكيد فضلاً عما ذكرناه من المعاني؛ فقولك (علمت أَنَّ محمداً قائم) أكد من قولك (علمت محمداً قائماً) هذا فضلاً عن إيقاع الجملة المؤكدة موقع المفرد، أي: علمت هذا الأمر (السامرائي: ٢٠٠٣م، ج١، ٢٧٢-٢٧٣). وقال: [الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] {الأنفال: ٦٦} فاستعمل (أنّ)؛ لأنه علم مؤكد ومما يدل على أنّها للتوكيد، أَنّ القرآنَ الكريم إذا قرن الظن بها أفاد اليقين -كما يقول النحاة- فحيثما اقترنت به في القرآن الكريم أفاد معنى العلم واليقين، قال تعالى: [إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاق حِسابيه. فهو في عِيشَة راضية] {الحاقة:-٢٠-٢١} فإن الظن قد يلحق بالعلم واليقين (السامرائي، ٢٠٠٣م، ج١، ص٢٧٢-٢٧٣)؛ فالمؤمن قد علم علم اليقين أنه ملاق حسابه، فعمل لهذا اليوم وأعد له العدة.

المبحث الثالث

(إنَّ) في سورة الجن بين الفتح والكسر

اختلف القراء في قراءة (أَنَّ) في قوله تعالى: [وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا] {الجن: ٣} وما بعدها إلى [وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا] {الجن: ١٤} تلك اثنتا عشرة فقرأهما ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح الهمزة فيهن ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة: وهي [وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا] {الجن: ٤} [وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا] {الجن: ٦}، وقرأ الباقون بكسرها في الجميع. واتفقوا

على الفتح في [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا]{الجن: ١}و [وأنّ المساجدَ لله فلا تدعو مع الله أحدا]{الجن: ١٨}؛ لأن ذلك لا يصح أن يكون من قول الجن، بل هو مما أوحي، بخلاف الباقي، فإنه يصح أن يكون من قولهم ومما أوحي، واختلفوا في [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا] {الجن: ١٩}، فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها كذا فضله بعض الأجلة وهو المعول عليه (ابن خالويه، ٢٠٠٧م، ص٣٥٤، وينظر: الداني، ٢٠٠٩م، ص١٥) ووجه الكسر في [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا]{الجن: ١}؛ لظهور عطف الجملة على المحكي بعد القول ووضوح اندراجها تحته، وأما وجه الفتح ففيه خفاء، ولذا اختُلِف فيه، فقال الفراء والزجاجي والزمخشري (الفراء، ١٩٥٥م، ج٣، ص٨٨) وهو العطف على محل الجار والمجرور في [يَهْدي إلى الرّشْدِ فآمنا به، ولَنْ أُشْرِكَ بِرَبِنا أَحَدَاً] {الجن: ٢} كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد رَبنا وأنه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي ويكفي في إظهار المحل مع المرادف، ((وليس من العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار الممنوع عند البصريين في شيء وإن قيل به هنا بناء على مذهب الكوفيين المجودين له)) (الأنباري: ج٢، ص٤٦٣) ولو قيل أنه بتقدير الجار لإرادة حذفه قبل أن يحذف (النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٣٨٢، وينظر: ابن عاشور، ج٢٩، ص٢٠٧). وسنعرض الآيات التي اختلف القراء في همزة (إنَّ) فيها وبيان معانيها، وهي كالآتي:

٣-١- قال تعالى: [وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا] {الجن: ٣} (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) هذه قراءة المدنيين (نافع وابن كثير) (ابن زنجلة، ص٧٢٧) وهذا محكي عن كلام الجن، وقراءة الجمهور أيضاً على اعتبار أنه معطوف على قولهم: (إنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً)؛ لذا يجب كسر همزة (إنَّ) إذا حكيت بالقول، وقرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر بفتح الهمزة على أنّه معطوف على

الضمير المجرور بالباء في قوله: (آمنا بِه) أي: آمنا بأنّه تعالى جد ربنا، وعدم إعادة الجار مع المعطوف على المجرور بالحرف مستعمل وجوزه الكوفيون (الأنباري: ج٢، ص٤٦٤) على أن حرف الجر كثير حذفه مع (أنَّ) فلا ينبغي أن يختلف في حذفه هنا على التأويل (الآلوسي: ١٢٧٠هـ، ج٢٩، ص١٣٣. وابن عاشور، ج٢٩، ص٢٠٦).

٣-٢- قال تعالى: [وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا] {الجن: ٤} قرأه الجمهور بكسر همزة (إنَّه) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر وخلف بفتح الهمزة، (التميمي، ج١، ٦٥٦. ابن خالويه، ٢٠٠٧م، ص٤٥٤) كما تقدم في قوله (أَنَّهُ تَعالى جَدُ رَبِّنا) وقد يكون ناشئاً عن إدراكهم ذلك بأدلة نظرية والقول منه وفي التأكيد بـ(إنَّ) مكسورة أو مفتوحة، كالقول في قوله: (أَنَّهُ تَعالى جَدُ رَبِّنا) (النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٣٤. ابن عاشور، ج٢٩، ص٢٠٨)

٣-٣- قال تعالى: [وأَنا ظَنَنَّا أَنْ لَّنْ تَقولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى الله كَذِباً] {الجن: ٥) قرأ الجمهور بكسر همزة (إنّ) وأبو جعفر وقرأها بالفتح ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف (ابن خالويه،٢٠٠٧م، ص٣٥٤) فعلى قراءة الكسر هو من أمكن بالقول ومعناه الاعتذار عما اقتضاه قولهم (فَآمَنا به) من كونهم كانوا مشركين لجعلهم وأخذهم قوله سفائهم يحسبونهم لا يكذبون على الله والتأكيد لـ(إنَّ) لقصد تحقيق عندهم فيما سلف من الإشراك وتأكيد المظنون بـ(لن) المفيد لتأكيد النفي يدل على أنّ الظن هنا بمعنى اليقين وهو يقين خاطيء.

وعلى قراءة الفتح هو عطف على المجرور بالباء في قوله (آمَنا به) فالمعنى وآمنا فإنّما ظننا ذلك فأخطأنا في ظننا (النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٣٢).

٣-٤- قال تعالى: [وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا] {الجن:٦} قرأ الجمهور همزة (إنّه) بالكسر. وقرأها ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر وخلف بفتح همزة عطفاً على المجرور بالباء

(التميمي، ج١، ٦٥٦، والداني، ٢٠٠٩م، ج٣، ص٢١٥) والتأكيد بـ(إنّ) مكسورة أو مفتوحة راجع إلى ما تفرع على خبرها(النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ٣٢. ابن عاشور، ج٢٩، ص٢٠٨-٢٠٩).

٣-٥- قال تعالى: [وَأَنَّهم ظَنُوا كَما ظَنَنْتُم أَنْ لَّنْ يَبْعَثَ اللهُ أَأَحَداً] {الجن: ٧} قرأ الجمهور ووافقهم أبو جعفر بكسر همزة (وإنَّهم) وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر وخلف بفتح الهمزة على اعتبار ما تقدم في قوله: (أَنَّهُ تَعالى جَدُ رَبّنا) (النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ٦٥٦، والداني، ٢٠٠٩م، ج٣، ٢١٥). والمعنى: أنّ رجالاً من الإنس ظنوا أنّ الله لا يبعث أحداً أو أنَّا آمنا بأنهم ظنوا كما ظننتم أي آمنا بأنهم أخطأوا في ظنهم، والتأكيد بـ(إنَّ) المكسورة أو المفتوحة للاهتمام بالخبر لغايته (النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٣٢، والزمخشري، ١٩٤٨م).

٣-٦- قال تعالى: [وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا] {الجن:٨} قال الجمهور ووافقهم أبو جعفر بكر بهمزة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف بفتح الهمزة عطفاً على المجرور بالباء (التميمي، ج١، ص٦٥٦). فيكون من عطفه على المجرور بالباء هو قوله: [فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا] {الجن: ٩} والتأكيد بـ(أنَّ) في قولهم (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) لغرابة الخبر باعتبار ما يليه: [وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا] {الجن: ٩} (ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٢٩، ص٢١٠).

٧- قال تعالى: [وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا] {الجن: ٩}قرأه بكسر الهمزة الذين قرأوا بالكسر قوله: [وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا] {الجن:٨}بفتح الهمزة الذين قرأوا بالفتح (الداني، ٢٠٠٩م، ج٣، ص٢١٥) وهذا من تمام قولهم (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ). وقد أعيد معه كلمة (إنا) للدلالة على أن الخبر الذي تضمنه هو المقصود وأنّ ما قبله للتوطئة؛ فإعادة (إنّا) توكيد لفظي (ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٢٩، ص٢١١).

والرصد مثل الحرس جمع للراصد معنى: ذوي شهاب راصدين بالرجم وهو الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن تكون صفة الشهاب (الزمخشري، ١٩٤٨م، ص١٣٠٣).

٣-٨- قال تعالى: [وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا] {الجن: ١٠} قرأ الجمهور وأبو الجعفر بكسر الهمزة وهو ظاهر المعنى، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف بفتحها عطفاً على المجرور بالباء كما تقدم (التميمي، ج١، ص٦٥٦). فيكون المعنى: آمنا بأنا انتفى علمنا بما يراد بالذين في الأرض أي: الناس أي: لأنهم كانوا يسترقون علم ذلك فلما حرست السماء انقطع عليهم بذلك وهذا توجيه الفراء بفتح الهمزة (أنا) ومحاولة غير هذا لا تكن, وتكرير (إنَّ) واسمها للتأكيد لكون هذا الخبر معرضاً لشك السامعين من الجن الذين لم يختبروا حراسة الماء (الفراء، ١٩٥٥م، ج٣، ص٨٩).

٣-٩- [وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا] {الجن: ١١} قرأ الجمهور وأبو الجعفر بكسر الهمزة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف بفتحها (التميمي، ج١، ص٦٥٦) وهو من قول الجن وقراءة فتح الهمزة عطف على المجرور بالباء أي: آمنا بأنا منا الصالحون أي: أيقنا بذلك وكنا في جهالة عن ذل، والمعنى: أنهم يدعون أخوتهم إلى وحدة الاعتقاد باقتضاء هدى الإسلام، فالخبر مستعمل في التعريض بذم الاختلاف بين القوم، وأنَّ على القوم أن يتحدوا بطلبهم الحق ليكون اتحادهم على الحق، ليس المقصود منه فائدة الخبر، لأن المخاطبين يعلمون ذلك، والتوكيد بـ(أَنَّ) متوجه إلى المعنى التعويضي (ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٢٩، ص٢١٦).

٣-١٠- [وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّـهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا] {الجن: ١٢} الظن هنا بمعنى اليقين لتأكيد المظنون بحرف (لن) الدال على تأييد النفي، (النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٢١٦) والمعنى: لن نعجزه سبحانه في الأرض إن

أراد بنا أمراً ولن نعجزه عز وجل هرباً إن طلبنا وحاصله إن طلبنا لم نعجزه وإن هربنا لم نخلص منه سبحانه (ابن عاشور، ١٩٧٣م، ج٢٩، ص٢١٨).

٣-١١- [وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا] {الجن: ١٣} على تذكيرة الهدى وهي اللغة الفصيحة، وقد تؤنث [وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا] {الجن: ١٣} وقراءة يحيى بن وثاب والاعمش (فلا يخف) (ينظر: الزمخشري، ١٩٤٨م، ص١٣٠٤، النحاس، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٣٣) على النهي.

٣-١٢- [وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا] {الجن: ١٤} قرأ الجمهور وأبو الجعفر بكسر الهمزة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف بفتحها (التميمي، ج١، ص٦٥٦) وهو من قول الجن وهو عطف على المجرور بالباء، والمقصود بالعطف قوله: [وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا] {الجن: ١٤} وما قبله توطئة له، أي (صبحنا يعدُّ سماع القرآن منا المسلمون الذين اتبعوا ما جاء به الإسلام، ومنا القاسطون أي الكافرون المعرضون (ينظر: الزمخشري، ١٩٤٨م، ص١٣٠٤).

قال تعالى: [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] {الجن: ١٨} اتفق القراء العشرة على فتح الهمزة في (أنّ المَساجد لله) (ابن خالويه، ٢٠٠٧م، ج١، ص٦٥٦) فهي معطوف على مرفوع (أُوحيَ إليَّ أَنَّهُ استمع) ومضمونها مما أوحي به إلي النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمر بأن يقوله. والمعنى: قل أوحي إليّ أنَّ المساجد لله فالمصدر المنسبك مع (أنَّ) واسمها وخبرها نائب فاعل (ينظر: الزمخشري، ١٩٤٨م، ص١٣٠٥) وقال الفراء ((يقال: وأنّ المساجد لله، يريد مساجد الرجل، ما يسجد عليه من: جبهته، ويديه وكبتيه وصدور قدميه)) (الفراء، ١٩٥٥م، ج٣، ص٩٠).

(وأنّه) بفتح الهمزة عند الجمهور على أنّه عطف على [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا]{الجن: ١}كالذي قبله فهو من كلامه تعالى أي أوحي إليّ أن الشأن (لَمَّا قَامَ عَبْدُالله) أي النبي. وقرأ نافع وأبو بكر كما قدمنا وابن هرمز وطلحة. (وإنَّه) بكسر الهمزة (ابن خالويه، ٢٠٠٧م، ص٣٥٤) وحمل على أنّ الجملة استئنافية من كلامه عز وجل. وجوز أن تكون من كلام الجن معطوف على جملة (إِنَّا سَمِعْنا) (الجن:١) حكوا فيها لقومهم لما رجعوا إليهم ما رأوا من صلاته (صلى الله عليه وسلم) وازدحام أصحابه عليه واهتمامهم به (الآلوسي، ١٢٧٠هـ، ج٢٩، ص١٤٥) ((وضمير (إنّه) ضمير الشأن وجملة (لَمَّا قَامَ عَبْدُالله) إلى آخرها خبره)) (ينظر: ابن عاشور، ج٢٩، ص٢٢٥)

وقال تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا] {الجن: ٢٠}جملة [قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا] {الجن: ٢٠} بيان لجملة (يدعوه) (ابن خالويه، ١٢٧٠هـ، ص٣٥٤). وقرأ الجمهور (قال) بصيغة الماضي، وقرأه حمزة وعاصم وأبو جعفر (قُلْ) (معاني القرآن للفراء، ج٣، ص٩٠) بدون ألف على صيغة الأمر، فتكون الجملة استئنافاً بيانياً والتقدير: أوحي إلى أنه لما قام عبدالله إلى آخره قل وإنما أدعو ربي، فهو من تمام ما أوحي به إليه، و(إِنَّما أَدْعُو رَبِّي) يفيد قصراً، أي: لا أدعو غيره، أي: لا أعبد غيره دونه، وعطف عليه، (وَلا أُشرِكُ بِهِ أَحَداً) تأكيداً لمفهوم القصر، وأصله أن لا يعطف فعطفه لمجرد التشريك للعناية باستقلاله بالإبلاغ (الزمخشري، ١٩٤٨م، ص١٣٠٢).

الخاتمة:

تأتي (إنَّ) لمعانٍ عدة أشهرها: التوكيد والتعليل والربط.

-وردت (إنَّ) في دلالتها على التوكيد -وهو الأصل فيها- ما كان لتوكيد مضمون الجملة أو تكون واقعة في سياق الجواب أو وقوعها في سياق التحسر، ومواضعها ما كان في جواب القسم فضلاً عن ورودها في سياق الاستئناف الابتدائي أو سياق الاستئناف البياني.

-وردت (إنَّ) في دلالتها على التعليل وهو نوع من التأكيد.

-تأتي (إنَّ) لربط الكلام بعضه ببعض فلا يحسن سقوطها من وإن اسقطتها رأيت الكلام مختلاً وبهذا تغني غناء الفاء الرابطة مثلاً فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً، وقد وردت في موضعين في جزء تبارك.

-لـ(أَنَّ) معانٍ عدة وأهم وظيفة لها أنّها توقع الجملة موقع المفرد، فتهيئها لتكون فاعلة ومفعولة ومجرورة، وذلك أن تقول: يعجبني أنك فزت، وأخشى أنك لا تعود، وأرغب في تعود معنا وهي في ذلك تلتقي مع سائر الحروف المصدرية، فإنّ من أهم وظائف الحرف المصدري أن يوقع الجملة موضع المفرد.

-وردت (أَنَّ) في جزء تبارك في موضع المفعول به وموضع نائب الفاعل.

-اختلف النحاة في كون (أَنَّ) مؤكدة أولاً والأرجح أنّها تدل على التوكيد، وما يدل على ذلك، أنَّ القرآن إذا قرن الظن بها أفاد اليقين.

-في سورة الجن نرى اختلاف القراء في قراءة (إنَّ) في قوله تعالى(وأَنَّهُ تعالى جَدُ رَبنا) وما بعدها إلى (وأنا منا المسلمون) بين الفتح والكسر وتلك اثنتا عشرة.

-اتفقوا على الفتح في (أَنَّه استمع) و (وأنَّ المساجدَ لله)، لأن ذلك لا يصح أن يكون من قوله الجن، بل هو مما أوحي بخلاف الباقي، فإنّه يصح أن يكون من قولهم ومما أوحي.

قائمة المصادر والمراجع:

** القرآن الكريم
١-ابن برد، بشار، ب، (١٩٧٣م) ديوان بشار بن برد، (د. ط) الجزائر، نشر المكتبة التونسية والشريكة والوطنية للنشر والتوزيع.
٢-ابن الحاجب(١٩٧٩م) شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، ج١، (د.ط)، مكتبة نزار مصطفى.
٣-ابن خالويه، أ، (٢٠٠٧م) الحجة في القراءات السبع، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.
٤- ابن الخباز، ش، (١٩٩٠م) الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، ط١، دار الأنبار.
٥- ابن زنجلة، ع، (١٤١٨هـ) حجة القراءات، ط٥، مؤسسة الرسالة.
٦- ابن عاشور، م، (١٩٧٣م) التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ.
٧- ابن عقيل، شرح ابن عقيلعلى ألفية ابن مالك، (د.ط) بيروت، صيدا، دار إحياء الكتب العربية.
٨- ابن عصفور، ع، (١٩٧١م) المقرّب، (د.ط) بغداد، مطبعة المعاني.
٩- ابن الناظم، ب، (٢٠٠٩م) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك،(د. ط) بيروت، دار الكتب العلمية.
١٠- ابن يعيش، م، (٢٠٠٧م) شرح المفصل، (د.ط) غدارة الطباعة المنيرية.
١١- الآلوسي، ش، (١٤١٥هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د. ط) بيروت، دار الكتب العلمية.
١٢- الأزهري، خ، شرح التصريح على التوضيح.
١٣-الأنباري، أ، (١٩٦١م)الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين، الكوفيين، (د. ط) مطبعة السعادة.
١٤- التميمي، أ، (٢٠١١م) السبعة في القراءات، (د.ط) مصر، دار المعارف.
١٥- الجرجاني، ع، (١٣٦٦هـ) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط٣، مصر، دار المنار.
١٦- الداني، أ، (٢٠٠٩م) التسير في القراءات السبع، (د.ط) لبنان، مؤسسة الريان.
١٧- الزركشي، ب، (١٩٧٥م) البرهان في علوم القرآن، ط١، بيروت، دار إحياء الكتب.
١٨- الزمخشري، ج، (١٩٤٨م) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، (د.ط) مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
١٩- السامرائي، ف، (٢٠٠٣م) معاني النحو، ط٢، القاهرة، شركة العاتك للنشر والتوزيع.

٢٠- السيوطي، ج، أ، (١٩٥١م) الإتقان في علوم القرآن، ط٣، مصر، شريكة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي.
٢١- السيوطي، ج، ب، (١٣٥٩هـ) الأشباه والنظائر في النحو، ط٢، حيدر آباد، الركن.
٢٢- السيوطي، ج. (١٣٢٧هـ) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ط١، مصر، مطبعة السعادة.
٢٣- سيبويه، ع، (د.س) الكتاب، (د.ط) بغداد، مصدر على مطبعة بولاق، نشر مكتبة مثنى.
٢٤- الطبري، أ، (٢٠٠٥م) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٥- الفراء، أ، (١٩٥٥م) معاني القرآن، (د. ط) مصر، دار الكتب المعارف.
٢٦-ليونز،ج، (١٩٨٥م)، نظرية تشومسكي اللغوية، ط١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
٢٧- المبرد، أ، (١٩٩٩م) المقضب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٨- المخزومي،م، (١٩٨٦م)، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط٢، بيروت، دار الرائد العربي.
٢٩- النحاس، أ، (٢٠١٤م) إعراب القرآن (د.ط) بيروت، دار الكتب العلمية.

الملخص:

اهتمت الحركة العلمية اللغوية بدراسة الجوانب الدلالية للنص القرآني للوقوف على أسرار إعجازه وفهم معانيه، لذا فقد ارتبطت به ارتباطا وثيقا, فكان القرآن هو المحور الذي دارت حوله هذه الدراسات، وقد قامت فكرة هذا البحث على تناول أحوال (إنّ) بوصفها واحدة من الأدوات اللغوية التي تعتمد الدلالة عند ورودها في هذا الموضع من القرآن أو ذاك، وقد ارتأينا أن يكون هذا البحث تطبيقياً من خلال كتاب الله تعالى، فاتخذ من جزءِ تبارك أنموذجاً، لبيان دورها في تحديد السمات الدلالية للنص القرآني الذي ترد فيه .

الكلمات المفتاحية: سورة تبارك، دلالة، دراسة دلالية، إنَّ وأنَّ، فتح وكسر .

Abstract:

The linguistic scientific movement has been interested in studying the semantic aspects of the Qur'anic text in order to find out the secrets of its miraculousness and understand its meanings, so it has been closely linked to it. The Qur'an was the axis around which these studies revolved. The idea of this research was based on dealing with the conditions of (in) as one of the linguistic tools that depend on semantics when it appears in this or that place in the Qur'an. We wanted this research to be applied through the Book of God Almighty, so it was taken from Juz' Tabarak as a model to show its role in determining the semantic features of the Qur'anic text in which it appears.

Keywords: Tabarak Surah, semantic study, semantic study, that and that, fatha and breaking.